لقاءات رمضان ١٤٣٤هـ

اللقاء الخامس : تفسير آية ١٣٦ من سورة النساء

أ.أناهيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، وسمحت لهنّ الأستاذة بنشرها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تُنشر في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

/!#/http://tafaregdroos.blogspot.com

تنبيهات هامة:

– منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

– هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

/http://www.muslimat.net

– الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضا.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمده سبحانه وتعالى أن حبب إلينا الإيمان ونشكره ونسأله المزيد من هذه النعمة العظيمة، إن الإيمان نعمة الرحمن التي امتنّ بها على خلقه، وتفضّل بها على عباده، وهذه النعمة العظيمة قد هيّأ الله عزّ وجلّ لها الإنسان ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين : ٤-٦] هذا الإيمان العظيم الذي هو أول الواجبات وأهمها له أثر عظيم في بناء الأمم والأفراد، وكل انهيار تجده في الأفراد أو الأمم فإنما سببه فقدان الإيمان، إن كل من عرف حقيقة الإنسان وحاجاتهِ عرف أن الإيمان هو أعلى الحاجات، فإن الإنسان لا يستطيع أن يعايش الحياة ويصارع الأحداث التي تدور حوله دون أن يكون له معتقد يعيش عليه والمعتقد الذي يعيش عليه الإنسان يسبب له السلوك، المعتقد هو الذي يسبب السلوك، فإذا صحّ معتقده، صحّ سلوكه، وإذا فسد معتقده، أصبح متخبّطًا، قد يصلح بعض سلوكه وقد لا يصلح ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الماعون : ٢-٣] إذن هذه سلوكيات عبد فقد الإيمان، ولهذا في المقابل ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد : ١١-١٣] إذن الإيمان يولد الرحمة، إذا صحت العقيدة ارتبط السلوك ارتباط مباشرًا بهذه العقيدة، فالمعنى: **أن الإيمان هو الأساس الذي تصلح به أديان الخلق وحياتهم**، وأي تقصير تراه في سلوك الخلق فإنما مبدأه ضعف الإيمان، ولا يغرك أن هناك خلق صح منهم السلوك مع عدم صحة الإيمان، فإن مسالك الخلق لا تصح كلها ولا تحسن كلها ولا تكون طيبة إلا مع الإيمان.

ولهذا سيكون لقاؤنا إن شاء الله اليوم حول آية عظيمة يخاطب بها المؤمنين، قبل أن يخاطب بها غيرهم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦ ﴾ النساء: ١٣٦

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إذن الخطاب للمؤمنين.

﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ﴾ فهذا أمْر للمؤمنين بالإيمان، مع كونهم مؤمنين، سنفهم كيف يكونوا مؤمنين ويأمروا بالإيمان. ويقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ونرى كيف كان بداية الآية الإيمان بثلاثة أمور: الإيمان بالله والرسول والكتاب -الذي هو من جملة الكتب-، ثم لما أشار الله عزّ وجلّ إلى الكفر، أصبحت خمسة أمور: ومن يكفر بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر.

وسنرى من خلال المناقشة وقراءة كلام الشيخ السعدي رحمه الله ما علينا أن نفهمه من هذه الآية.

بدأ الخطاب : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، كيف يكونون مؤمنين ويخاطَبون بالأمر بالإيمان؟!

قال الشيخ السعدي : **اعلم أنّ الأمر إما أن يوجه إلى من لم يدخل في الشيء ولم يتصف بشيء منه، فهذا يكون أمرًا له في الدخول فيه، وذلك كأمر من ليس بمؤمن بالإيمان، كقوله تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ **الآية.**

فإذن الأمر يوجه إلى من لم يدخل في الشيء، أو لم يتصف به، فيكون معنى الأمر هنا أفعل ما لم تكن فعلته، تأمره بأمر معناه افعل شيء لم تكن فعلته قبل، هذا المتعارف عليه، إذن يقال آمن لمن لم يؤمن.

يقول الشيخ : **وإما أن يوجه إلى من دخل في الشيء.** معناه: أن هذا الشخص قد امتثل الأمر أولاً، ثم أعيد عليه فأمره بنفس الأمر، فما فائدة هذا النوع من الأمر؟

يقول: **فهذا يكون أمره** –من أجل أي شيء؟– **ليصحح ما وجد منه.**

"**ليصحِّح ما وجد منه**" هذا أولاً، يعني هنا أُمرنا بالإيمان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾ إذن هذا الإيمان مطلوب منا أن نصححه، نصحح ما وجد من هذا الإيمان .

يقول: "**ويحصّل ما لم يوجد**"

١– الأمر الأول: يؤمر الإنسان بأمر هو قد امتثله ليصحح مسلكه في هذا الأمر.

٢– الأمر الثاني: لكي يحصل منه الأمر الذي لم يحصل، أو يُحصِّل الشيء الذي لم يوجد، فإن أمر الايمان واسع فإذا قيل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾ إذن أمرنا بتصحيح ما وجد منّا من إيمان وأمرنا أن نحصِّل ما نقص من هذا الإيمان، ما لم يوجد من هذا الإيمان.

إذن يا أيها المؤمنون عليكم أن تؤمنوا، عليكم أن تصحِّحوا مساركم في الإيمان، لا تقنعوا بما معكم إنما اجتهدوا في زيادة هذا الإيمان وتحصيله، حصِّلوا ما لم يوجد من الإيمان.

يقول الشيخ : **ومنه ما ذكره الله في هذه الآية من أمر المؤمنين بالإيمان.** يعني هذا النوع الثاني هو المقصود.

إذن ملخص ما مضى: أن الأوامر لما يؤمر بها أي أحد إما يقصد أن:

١– يؤمر بشيء لم يكن داخلاً فيه.

٢– يؤمر بأن يكمِّل ما هو داخل فيه.

إما يؤمر بما لم يكن داخلًا فيه، لم يكن مؤمنًا فنقول له آمِن، أو يؤمر بشيء قد دخل فيه. والثاني هو المقصود بالآية أنت مؤمن تؤمر أن تؤمن، فكيف أؤمن وأنا مؤمن؟

نقول نعم صحِّح ما وجد من إيمان عندك، حصِّل ما لم يوجد من الإيمان، فهذا أمر عظيم لتفتيش الإيمان، وبنفس هذا الفهم ندعو كل يوم ربّنا ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، يارب اهدنا الصراط وثبّتنا عليه واجعلنا نكمل لوازمه واصرف عنا صوارفه، فهذا كله يفهم بنفس المعنى.

"فإن ذلك يقتضي أمرهم بما يصحِّح إيمانهم من الإخلاص والصدق، وتجنب المفسدات والتوبة من جميع المنقصات" ويقتضي أيضًا الأمر بما لم يوجد من المؤمن من علوم الإيمان وأعماله، فإنه كلما وصل إليه نص وفهم معناه واعتقده فإن ذلك من الإيمان المأمور به.

يقول الشيخ: **"ومنه ما ذكره الله في هذه الآية من أمر المؤمنين بالإيمان** -أي من النوع الثاني- **فإن ذلك يقتضي أمرهم بما يصحح إيمانهم.**

ماذا نفعل لنصحح إيماننا؟ قال: **من الإخلاص والصدق.**

يعني : لما قال لنا ربنا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾ إذن هذا يقتضي أمرنا بتصحيح إيماننا،كيف نصحح إيماننا ياربنا ؟ ما هو تصحيح الإيمان؟

ما سمعته في القرآن من الأمر بالإخلاص والصدق، صحِّح إيمانك بالتفتيش في أعمالك من تريد بها؟ من تريد بأعمالك؟ ما الذي بعثك على هذه الأعمال؟ هل أنت صادق في إرادة وجه الله؟ هل أنت صادق في حب رضا الله؟ هل أنت تسعى من أجل طلب رضاه؟

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ﴾: يا أيها الذين آمنوا فتِّشوا في نفوسكم عن الإخلاص، فتِّشوا في نفوسكم عن الصدق وبواعثه، هل الذي يبعثنا على الإيمان ، هل الذي يبعثنا على الأعمال ، هل الذي يبعثنا على الأقوال التي ترضي الله هو طلب رضا الله؟ أم أنها العادات والإلف؟ أم أنها ما عشنا عليه؟

لابد أن نحرِّر ونحرِّك قلوبنا عند كل عمل نعمله، لا تظنّ هذا تكليف بما لا يطاق، إنك أمام أمر صريح.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ﴾ فتِّش عن إخلاصك، فتِّش عن صدقك

أما **الصدق** ففكر في بواعث العمل، ما الذي يجعلك تتحرك للعمل؟ ما الذي يبعثك؟ بماذا تفكر؟ هل لقاء الله والدار الاخرة على بالك؟ هل تشعر بقرب الله؟ وتشعر بإطلاعه عليك؟ هل أنت تسارع في طلب رضاه في كل موقف من المواقف؟ ما مقدار الحاحك عليه بالقبول؟

يا أيها **المخلص** الذي لا تريد إلا أن ينظر الله اليك فيقبلك كم مرة ألحيت على الله بالقبول؟ كم مرة اعتصر قلبك خوفًا من الردّ؟ كم مرة خلال العمل فتَّشت في نفسك كم حرصك على ألا يداخل حب ثناء الناس على حب ثناء الله؟ هل أنت فقط تريد ثناء الله أم اختلط الأمر عليك فوقع في قلبك الميل إليه؟ كم مرة جاهدت فطردت؟

إذن معنى هذا : أن الذين امنوا بالله اشتدّ حرصهم على الإخلاص، اشتدّ حرصهم على الصدق، وهذا **مورده العظيم معرفة الله والاستعداد للقائه**، المورد الذي تغذّي به صدقك وإخلاصك هو إيمانك بكمال صفات الله وإيمانك يقينيًا بلقاه.

إذن صحِّح إيمانك بالصدق والإخلاص وتجنب المفسدات -كما يقول الشيخ- **وتجنب المفسدات، والتوبة من جميع المنقصات.**

إذن هذه أمور أربعة:

١) صحِّح إيمانك بالتفتيش عن الإخلاص في وقت العمل فكر أنت تريد رضا من، في وقت العمل كم ألحيت عليه بالقبول، كم هو خوفك من الرد ؟

٢) ما الذي يبعثك على العمل؟ فكر في صدقك، هل أنت صادق الذي بعثك على العمل هو طلب رضاه؟

٣) تجنب المفسدات، في كل عمل مفسدات، الخلق يفسدوا عليك عملك، الشيطان يفسد عليك عملك، هوى نفسك يفسد عملك، فإذا وقعت هات الرابعة :

٤) وعليك بالتوبة من جميع المنقصات .

فهو كلام عظيم يحتاج إلى عناية.

يقول-مرة أخرى-: **ومنه ما ذكره الله في هذه الآية من أمر المؤمنين بالإيمان**-أي: من النوع الثاني- **فإن هذا يقتضي أمرهم بما يصحح إيمانهم، من الإخلاص والصدق، وتجنب المفسدات، والتوبة من جميع المنقصات**. إذن هذا أول شيء يقتضيه الأمر بالإيمان.

الأمر الثاني يقول : **ويقتضي أيضًا الأمر بما لم يوجد من المؤمن من علوم الإيمان وأعماله.**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾ يعني هذه أمور ناقصة فيك يا أيها المؤمن يجب عليك أن تكملها، ما هي هذه الامور ؟ يقول: **من علوم الإيمان وأعماله**. الإيمان له علوم عليك أن تتعلمها، يأتيك بالتفصيل فيقول : **فإنه كلما وصل إليه نص، وفهم معناه واعتقده، فإن ذلك من الإيمان المأمور به.**

فإذن نفصل أولاً في هذا النوع الثاني إذا سمعت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾، إذن تقتضي أن تؤمن بمعنى تتعلم من الإيمان ومن أعماله ما لم يوجد عندك، ومجمل هذا بأن يصل إليك نص تتعلمه ، يعني: أنت تقرأ في كتاب الله أو في سنة النبي صلى الله عليه وسلم فتفهم هذا النص تفهم معناه وتعتقده فإن هذا من الإيمان المأمور به.

نضرب مثال على ما تدارسناه أمس معاً: هذا مؤمن معه الحمد لله إيمان، ولم يكن يعلم أن الاجتماع من أوامر الإيمان، وأنه يأتي بعد الإيمان والتوحيد مباشرة الأمر بالاجتماع، وأنه من خصائص المؤمنين، وأن المؤمنين حريصين على الاجتماع وأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويعلمون الناس بالخير ليجتمعون جميعًا بالتمسك بحبل الله لا تحت حزب ولا تحت راية غير راية الإسلام، يقودهم في ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، كان مؤمنًا معه إيمان لكن لم يكن يعرف هذه المسألة، ولم يكن يعرف أن الاجتماع من اللوازم وأنه من الأوامر وأن عدم التفرّق والحرص على عدم التفرّق يدلّ على الإيمان، لم يكن يعرف هذا الشيء، فلما عرفه واعتقده، يكون قد ائتمر بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾

لقد ائتمر بهذا الأمر، سمع النص وفهمه واعتقده، فهذا من الإيمان المأمور به الداخل في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾ .

وأيضًا يقول : **وكذلك سائر الأعمال الظاهرة والباطنة، كلها من الإيمان.** فهذا العبد لم يكن يعرف عمل من أعمال الإيمان، فلما تعلمه واعتقده واعتنى به وقام به، فقد ائتمر بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾ إذن معنى هذا أن هنا أمرين تحت النوع الثاني :

إذا كان المؤمن مأموراً بالإيمان فأحد معاني الأمر بالإيمان أن يكون المؤمن فيه نقص في علوم أو أعمال للإيمان:

- فإذا كانت علوم يقبلها ويعتقدها فيكون بذلك امتثل أمر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾ .

- وإذا كانت أعمال إذن وقتما يتعلمها ويعمل بها فقد امتثل بهذا الأمر.

إذن إلى هنا عندي نوعين يدخلان تحت قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ :

النوع الأول : يقتضي تصحيح الإيمان، الإيمان الذي معك صححه، عندك علوم تعرفها، عندك أعمال تقوم بها، المفروض فيها أن تفعل أربعة أمور للتصحيح:

١. التفتيش عن إخلاصك.
٢. وصدقك.
٣. وتجنب المفسدات .
٤. والتوبة من جميع المنقصات .

هذا على ما كنت تعمل أصلًا وتعتقد .

فأنت تعلم أن الله أمرك بالتوكل وتعرف ما هو التوكل فماذا تفعل ؟ مارِس التوكل، اعتقد أن الله مستحقّ لأن تتوكل عليه، اكتفي به، كن صادقاً في توكلك ما في قلبك شك، لا تتوكل من أجل أن يراك الناس متوكلا، تجنب المفسدات، وإذا وقعت فيما يفسد، عليك بالمسارعة إلى التوبة، هذا النوع الأول يدخل تحت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾ .

يأتي النوع الثاني: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾ بمعنى فيكم من نقص العلم وفيكم من نقص العمل ما يستوجب أن تزيدوا علمكم وعملكم، فتعلموا وافهموا واعتقدوا ما تتعلمونه، واعملوا الأعمال الظاهرة والباطنة التي تزيدكم إيمانًا وتدخلكم مع المؤمنين، وهذا معناه أن الإيمان مطلوب منا الحرص على زيادته، العناية به وزيادته، العناية به أولاً ثم زيادته ثانيا، صحح إيمانك وزد إيمانك بالعلوم والأعمال، صحح ما كنت تقوم به وزده.

يأتي الأمر الثالث : الذي هو من مقتضيات هذا الأمر وهذا يربطنا بآية امس التي كنا نناقشها يقول : **ثم الاستمرار على ذلك، والثبات عليه إلى الممات، كما قال تعالى** ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ .

إذن من مقتضيات هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ : الاستمرار الثبات على علوم الإيمان وزيادتها وتصحيحها، وعلى أعمال الإيمان تصحيحها وزيادتها، إذن عليك أن تعتني بعلوم الإيمان وأعمال الإيمان تصحيحًا وزيادة واستمر على ذلك استمر لا تتوقف، ومن عاش على شيء مات عليه، كما سمعنا أمس في كلام الشيخ حول هذه الآية، أنت لا تستطيع أن تموت على الإسلام إلا إذا وفّقك الله، والله عزّ وجلّ يوفّق من؟ يوفّق من كان مستمرًا، إن من عاش على شيء مات عليه.

إذن خرجنا بثلاثة مقتضيات في هذا الأمر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ ماذا نفعل؟ مقتضى هذا الأمر ثلاثة أمور:

١. تصحيح الإيمان.
٢. نزيد ما عندنا من إيمان.
٣. نحافظ ونستمر ونثبت على ما معنا من إيمان.

وهذا الآن سيتبين لنا من خلال ما أمرنا أن نؤمن به، يقول :

وأمر هنا بالإيمان به –سبحانه وتعالى– وبرسوله، وبالقرآن وبالكتب المتقدمة، فهذا كله من الإيمان الواجب الذي لا يكون العبد مؤمنا إلا به، إجمالا فيما لم يصل إليه تفصيله وتفصيلا فيما علم من ذلك بالتفصيل، فمن آمن هذا الإيمان المأمور به، فقد اهتدى وأنجح.

ونأتي هنا إلى التفصيل من أجل أن نفهم ماذا يقصد بكلمة "**إجمالا فيما لم يصل إليه تفصيله وتفصيلا فيما علم من ذلك بالتفصيل**".

أولًا ما هو المطلوب منا أن نؤمن به؟ ثلاثة أمور:

١– الإيمان بالله

٢– الإيمان بالرسول

٣–الإيمان بالكتاب

وهذه الثلاثة هي أصول الإيمان، من آمن بهذه الثلاثة فقد آمن. وبقية أركان الإيمان ؟ سيتبين لنا كيف أنها هذه الثلاثة تضمن الباقي

نبدأ بالكلام حول الإيمان بالله :

ماذا يراد بالإيمان بالله ؟ –وهذا من الإيمان الواجب– الإيمان بالله المقصود به الإيمان بكمال جلاله وعظمته، ويكون بما يعرفه الإنسان عن صفات ربه، فالإيمان الواجب هو إيمانك بما وصلك من أسماء الله عزّ وجلّ وصفاته وأفعاله، فتؤمن بها، وتتيقن، ويكون إيمانك بها تصديق بالقلب وقول باللسان ولابد من أثر ذلك وهو عمل بالجوارح في كل ما يمكن أن يكون عملًا بالجوارح.

وإيمانك بالرسول معناه:

أنك تؤمن أن الله أرسل الرسول وأن الطريق ليس إلا من طريق الرسول، فتقع منك طاعة الله بطاعة الرسول وترى كل طريق يوصل إلى الله مغلق والطريق الوحيد المفتوح لرضاه هو متابعة سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فيكون علمك بسنة النبي صلى الله عليه وسلم علم من آمن أن الرسول هو قائده إلى ربه وهو الذي يحمل الراية واللواء، فعينك وأنت تسير في الطريق المستقيم إنما هو على راية النبي صلى الله عليه وسلم، لا تزيغ عينك عن راية النبي، فكل يوم لك شأن مع النبي صلى الله عليه وسلم، كل يوم لك شأن تقلب أحواله صلى الله عليه وسلم وترى رايته لتطمئن أنك على الطريق المستقيم، فمن أشقى من عبد قيل له قائدك النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخالفه؟!

فلذلك تعلُّم حال النبي صلى الله عليه وسلم من خلال أحاديثه التي وردت عنه أمر من لوازم الإيمان، ولذلك الفلاسفة الذين خرجوا شرقًا وغربًا مأجورين مدفوع لهم أموال من أجل أن يشككوا المسلمين في دينهم ما تراهم إلا يقدحون في البخاري ومسلم، وما تراهم إلا يقدحون في أبي هريرة رضي الله عنه ومن أكثر مثله الأحاديث، ما أن تسمع هذا الشغب إلا تعرف حقيقة الأمر إن الإيمان بالرسول من أركان الايمان بل لو نظرت إليه من جهة أخرى ستجد أن الدين مجموع في هذه الثلاثة أمور: الإيمان بالله، وبالرسول، وبالكتاب، وتجد بقية أركان الإيمان والإسلام والأعمال وكل شيء وراء هذه الثلاثة، فإذا استطاعوا أن يشككوا في سنة النبي فقد بلغوا ما يريدون، فلا تسمع لرجل تجرأ فطعن في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا لكتاب محفوظ وهذا الدين محفوظ.

إن الله علّم نبيه القرآن وعلم له بيان القرآن، فلما علمه بيان القرآن كانت الحكمة على لسان رسولنا صلى الله عليه وسلم، فلا يكون منا حكمة أن نترك سنة النبي صلى الله عليه وسلم فلا ترى معتنياً بها وترى مثل هؤلاء يتطاولون عليها وعلى رجالها، إن الله كما قيض كبار الصحابة لحفظ القرآن قيض الرجال المخلصين في القرون المفضلة لحفظ السنة، وإن على سنة النبي صلى الله عليه وسلم لنور، يعرفه من اعتاد أن يقرأ أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، فلا يشغلك هذا الشغب عن سنة النبي بل اتهم من يتهم هذه الكتب التي يسّر الله فيها جمع أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وسنته، لكن العيب على من كان أجيرًا لأهل الكفر والنفاق، فإذا آمنت بالله وبأسمائه وصفاته وأفعاله وآمنت بالرسول أنه قائدك الذي يرشدك في هذا السفر العظيم إلى الطريق الذي يرضي الله، فكان عليك أن تؤمن بكتاب

الله الذي تكلم به الله ونزل على قلب رسول الله وحفظه الله ووصلنا محفوظًا كما تلاه رسول الله على صحابته رضوان الله عليهم.

الإيمان بالكتاب:

عظموا القرآن حق التعظيم واتلوه حق التلاوة ولا تكن ممن انشغل عن القرآن، وأحيانًا ينشغل بعض الناس عن القرآن بالقرآن –وهذه حيلة شيطانية– فينشغل بعض الناس بالقرآن عن القرآن، فينظر للقرآن ليحقق أهدافًا لا تزيد الإيمان، فتراه يترك المعنى ويشدد على نفسه في الحرف، وتراه يترك الفهم ويسارع للبروز بين الخلق بإجازات أو بأمور يثني عليه الخلق بها، لا تنشغل عن القرآن بالقرآن، فإن الشيطان لما وجد الناس مقبلين على كتاب الله شغلهم عن القرآن، وهذا الأمر من العجائب أن تجد الناس مشغولين عن كتاب الله، فلا يصلون إلى ما يريد الله، إنما يبحثون بعيدًا عن كتاب الله في كتاب الله.

لابن العربي جملة عظيمة يقول فيها : "إن إبليس حين لم يستطيع أن يشغل الناس عن القرآن شغلهم به عنه"!. أي: جعل الناس يشتغلون بشيء في القرآن لا ينفعهم في معادهم، فترى المبالغة في أمور ثم لا تجد فهمًا ولا زيادة إيمان، فكن حذرًا من وسائل الشيطان.

وإيمانك بالكتاب يلزمك بالإيمان بالكتب التي سبقت، وهذا يجعل قلوبنا في غاية من الارتباط بأنبياء الله، فأنت كما تؤمن بالقرآن وأن الله أنزله كذلك تؤمن بالتوراة والإنجيل أنها نزلت من عند الله، وأن القوم حرفوها، لكن في الأصل التوراة كتاب من كتب الله والإنجيل كتاب من كتب الله، فنؤمن بهذه الكتب.

فإذن أصبح قاعدة إيمانك هو الإيمان بالله، وضلعي هذا الإيمان هو الإيمان بالرسل والإيمان بالكتب، تؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالأنبياء قبله وتؤمن بكتابنا الذي هو القرآن وبالكتب قبله.

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ **ما علاقة هذه الأمور بما مضى؟**

الأمر واضح : أما الإيمان بالله والكتب والرسل فقد ذكر وضد الإيمان الكفر، فمن آمن بالله والكتاب فقد آمن، ومن كفر فقد ضلّ ضلالًا بعيدًا، لكن السؤال والملائكة ؟ واليوم الآخر ؟ لماذا أتوا في الكفر ولم يأتوا في الإيمان؟ والأمر الحمد لله واضح، فإن من آمن بالله وبالرسول وبالكتاب فقد آمن بكل الأخبار التي في الكتاب والتي أتت على لسان الرسول، أما من كفر فقد يكون كفرَ بشيء من الأخبار التي وردت في الكتاب .

مرة أخرى: الإيمان بالله وبالرسل وبالكتاب متى حصل فقد حصل الإيمان بالملائكة واليوم الآخر لا محالة، لكن ربما يدعي إنسان أنه يؤمن بالله وبالرسل وبالكتب ثم ماذا يفعل؟ ينكر الملائكة، أو ينكر اليوم الآخر، وهذا أمر موجود في فرق –لا كثرها الله– من هذه الفرق مثلاً : فرقة نصرانية تؤمن بنبوة الأنبياء وتؤمن بالله واحداً وتؤمن بكتب الله، وإن كانت لا تؤمن بالقرآن لكن تؤمن بالكتب التي قبل القرآن يعني بالتوراة والإنجيل، لكنهم ينكرون يوم القيامة! ويقولون الإنسان كالحيوان إذا مات انتهى أمره، لماذا تدينون بالدين ؟ يدينون بالدين لصلاح دنياهم، وهذه الفرقة إنما هي من آثار اليهودية، لكن أنا أقصد بالمثال أن تتصور أن هناك من يؤمن بالله والكتب والرسل ثم ينكر اليوم الآخر، ومثله إنكار الملائكة، وقد وقع في العالم الإسلامي أن فرق خرجت من أصول غير مسلمة، مجوسية وغيرها، زعمت أن الآيات الواردة في الملائكة وفي اليوم الأخر محمولة على التأويل فهذا موجود.

فالمقصود أن من آمن بالله والكتب والرسل فقد أتى بالإيمان، لابد أن يكون مؤمن بكل شيء فيها، لكن قد يكون الإنسان يدعي أنه مؤمن بهذه الأمور الثلاثة ثم يأتي فيكفر بأخبار في الكتاب أخبر بها الله وأخبر بها الرسول ربما كان هذا على وجه أنه يقول: يتأول ذلك يعني هذا ليس معناه كما قولتم انما معناه كذا وكذا.

فالمطلوب من المؤمن أن يحفظ إيمانه، ويطلب من الله الثبات، ويخشى من الدعوات، إن الفرق التي ابتدعت عقائد ومفاهيم أصل خللها أنها اعتقدت اعتقادات باطلة ثم استدلت عليها كما تريد بهواها،

لكن أنت أيها المؤمن **اجعل القرآن نصب عينيك، اعرف الله من القرآن، وابذل جهدك أن تتعلمه فتزيد إيمانًا**، وفي كل شأن من شؤونك أسأل هذا ماذا يجب علي أن افعل فيه؟ فستجد القرآن يجيبك والسنة تجيبك.

فتمسّك بهذا الحبل واعتصم به واعلم أن الاخبار حولنا تكاد تهلكنا كل يوم تسمع عن فرقة انشقت، وبدعة ابتدعت، وأمر يتكلمون فيه ما أنزل الله به من سلطان، فلا تكن عرضة للنفاق لا تكن عرضة للكفر.

هذه آية واحدة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ﴾ كن على حذر، تمسّك بالكتاب واعرف الله وتعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم، واسأل الله دائماً الثبات، فمن ثبته الله نجى من الفتن .

إن الإيمان أعزّ ما نملك، فاحرص على تصحيحه وعلى زيادته وعلى طلب الاستمرار فيه.

إن الإيمان أخطر أمر يمكن أن يتعرض الإنسان فيه للهلاك، لأن إيمان العبد لو هلك هلك العبد!

نسأل الله عزّ وجلّ بمنّه وكرمه كما ابتدأنا بمنّة الإيمان أن يحفظه علينا وعلى ذرارينا، وأن لا نكون من أولئك القوم الذين أهملوا الإيمان فقطع الله عنهم سبيله، نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، نعوذ بالله مما يقوله السفهاء، نعوذ بالله من الافتراق بعد معرفة الحق، نعوذ بالله أن نكون ممن استغنى، وترك الذلّ بطلب الثبات على هذا الدين العظيم، أسأل الله بمنّه وكرمه ونحن في هذا الشهر العظيم أن ينزل على قلوبنا الايمان والمسلمين وأن يخرجنا من الفتن وأن ينجينا منها ما ظهر منها وما بطن.

إن الإيمان مسؤولية الإنسان مع نفسه ومسؤوليته مع ذراريه، لا تعطي نفسك ختم الايمان ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ آمِن، عليك أن تؤمن، عليك أن

تحرص على الإيمان، عليك أن تفتش إيمانك، عليك أن تصصحه، عليك أن تزيده، عليك أن تطلب الثبات.

خرجنا بهذه الثلاث المهمات:

١. **صحح إيمانك.**
٢. **زد إيمانك بالعلم.**
٣. **استمر على الايمان بطلب الثبات.**

اللهم ثبتنا على دينك، ثبتنا على دينك، ثبتنا على دينك وأحسن لنا الخواتيم، اللهم آمين.